Singular Semiotic in the Models of Aljwahere

Dr. Taiser slman jraykos[*]
Dr. Bana Belal shbane[**]
Mohammed Hassan Younes[***]

(Received 17 / 12 / 2019. Accepted 9 / 4 / 2020)

□ ABSTRACT □

This study is an attempt to highlight the impact that pumping vocabulary in the composition of poetry, and is no doubt that the semiotic this vocabulary effectively contribute in giving a recipe poetic text, because they represent the signs of semantics as diverse contexts in which they are contained, and the dynamism achieved from a damaged vocabulary within the same topic opens up new horizons, and pave the way for a variety of readings, according to the ability of the recipient language, cognitive and proceeds, hence the emphasis on the singular in construction as a key text for reproduction again.

Keywords: Semiology - singular - Aljwahere.

[*] Professor، Department of Arabic، Faculty of Arts and Humanities، Tishreen University، Lattakia، Syria.
[**] Assistant Professor، Department of Arabic، Faculty of Arts and Humanities، Tishreen University، Lattakia، Syria.
[***] Postgraduate Student، Department of Arabic، Faculty of Arts and Humanities، Tishreen University، Lattakia، Syria.

سيميائيّة المفردِ في نماذجَ من شعرِ الجواهري

د. تيسير سلمان جريكوس*
د. بانا بلال شباني**
محمد حسن يونس***

(تاريخ الإيداع 17 / 12 / 2019. قبل للنشر في 9 / 4 / 2020)

ملخّص

هذا البحث محاولة لتسليطِ الضّوءِ على فاعلية المفرداتُ النّصّيّةُ في التّشكيلِ الشعريّ، وممّا لاشكَّ فيه أنَّ سيميائيّةَ المفرداتِ تسهمُ على نحو فعّالٍ في رفع الطّاقة الإبداعيّة داخل النّصّ؛ لأنّها تمثلُ علاماتٍ تشيرُ إلى دلالاتٍ متنوّعةٍ بتنوّعِ السياقاتِ التي تردُ فيها، ولعل ملاحقتها من خلال تآلفها يمهّدُ لقراءاتٍ متنوّعةٍ وفاقاً لِنضجِ المتلقّي وحصيلتهِ اللّغويّةِ المعرفيّة، بوصفها مفتاحاً لإعادة الإنتاجِ من جديدٍ.

الكلمات المفتاحيّة: سيميائيّة– المفرد – الجواهري.

* أستاذ – قسم اللغة العربيّة– كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.
** مدرّسة – قسم اللغة العربيّة– كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.
*** طالب دكتوراه – قسم اللغة العربيّة– كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.

مقدّمة:

تعدُّ المفرداتُ مادةً بنائيّةً تشكّلُ من خلالِ تراصُفِها وارتباطاتِها، إيحاءاتٍ متنوعةً تغني النّتاجَ الّذي تُوظَّفُ فيه، وتفتحُ آفاقَ معانيهِ، وربّما كانَتِ اللّغةُ الشعريَّةُ أغنى من غيرِها في هذهِ الخصّيصةِ؛ وذلكَ لأنَّها أكثرُ من لغةٍ للتّواصلِ، إنّها لغةُ خلقٍ وتأمّلٍ، وهي بذلكَ أحوجُ إلى إعادَةِ القراءةِ لاستكشافِ أثرِ عناصرِها المكوَّنَةِ لها.

وعندما يشكّلُ المفردُ النّصيّ غموضاً – وإنْ كانَ ضئيلاً – يدخلُ ضمنَ دائرةِ الإيحاء الرّمزِيّ، ويصبحُ بحاجةٍ إلى سبرٍ نصّيٍّ يلاحقُ دلالاتِهِ، ويبيّنُ الظّواهرَ السياقيّةَ، الّتي يتعرّضُ لها والعلاقاتِ التي تحكمُهُ وتحدّدُ كنهَهُ، لمعرفةِ الدّورِ الّذي يؤدّيهِ في تحقيقِ الهدفِ من الخطابِ.

أهمية البحث وأهدافه :

تأتي أهمية البحث من جدّته، فهو يدرس علاماتيّةَ المفردةِ في أثناءِ تفاعلاتها النّصّيّةِ في شعر الجواهريّ ، ولا تغفلُ الدّراسةُ التّركيزَ على المعطى المضمونيّ للدّالّ/ المفردِ وفاقاً لتعالقاتِهِ السّياقيّةِ.

منهجية البحث :

إنَّ المنهج الوصفيّ المشفوع بالتّحليل هو المنهجُ الذّي ستعتمدُ عليهِ هذهِ الدّراسةُ من خلالِ تحديدِ الظّاهرةِ موضوعةِ الانطلاقِ، وتوصيفها، واستنطاقِ مدلولاتِها الشّاعريّةِ (Poetics) المنزلقةِ الّتي تضيفُ، وتضيءُ، وترتقي بالنّصّ المقروءِ.

السّيميائيّةُ(Semiology)، الرؤيةُ العامّةُ:

لابدَّ لنا قبل الخوضِ في التّحليل السّيميائيّ أن نعرضَ لمعنى الكلمةِ على الصّعيدِ المعجميّ، خارجَ إطارِ العلاقاتِ النّصيّةِ؛ لأنَّ هذا يسهمُ في إيضاحِ الأصلِ اللّغويّ للمصطلحِ ومعرفةِ دلالتهِ، وممّا جاءَ في لسانِ العربِ عن مادة "سَوَمَ":

"السُومَةُ والسِّيمَةُ و السِّيماء، والسِّيمياءُ: العلامةُ،... وقولُهُ عزَّ وجلَّ: "**حجارةٌ من طينٍ مسوَّمَةٌ عندَ ربّكَ للمسرفين**"[1]، قالَ الزّجاجُ، رويَ عن الحسنِ: أنّها معلّمةٌ ببياضٍ وحمرةٍ، وقالَ غيره: مُسوَّمةٌ بعلامةٍ يُعلَم بها أنَّها ليسَتْ من حجارةِ الدنيا، ويُعلَم بسيماها أنَّها ممّا عذّب الله بها"[2].

ونلحظُ من خلالِ هذا الموجزِ المُقتطَفِ من اللّسانِ أنَّ المعنى اللّغويَّ لمصطلحِ السِّيمياءِ هو العلامةُ التي تميزُ الشيءَ من غيرِه.

أمّا اصطلاحاً:

فالسِّيمياءُ حقلٌ معرفيٌّ واسعٌ، وتُعرَّف على أنَّها "علمُ الإشارةِ الدّالّةِ مهما كانَ نوعُها وأصلُها، وهذا يعني أنَّ النّظامَ الكونيّ، بكل ما فيه من إشاراتٍ ورموزٍ هو نظامٌ أو دلالةٌ"[3]، وهي العلمُ الذي يدرسُ نظامَ (System) العلاماتِ، ويبحثُ في أهمّيّتِها وقوانينِها لتكوينِ نظريّةٍ للأدلّة[1].

---

[1]– القرآن الكريم، سورة الذاريات، آية 34.33.

[2]– ابن منظور الإفريقي، لسان العرب. دار صادر، بيروت – لبنان، ط3، 2004 م.مادة (سوم).

[3]– بيير جيرو، علم الإشارة. السيّميولوجيا، تر. د. منذر عياشي، دمشق: طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1988 م، ص9.

ولعلّ تعريفَ (جورج مونان) هو التَّعريفُ الأفضلُ؛ إذ يحدّدُها بأنَّها "العلمُ الّذي يدرسُ كلَّ أنساقِ العلاماتِ أو الرّموزِ الّتي بفضلِها يتحقّقُ التّواصلُ بين النّاسِ"[2]، وأقصرُ تعريفٍ للسّيميائيةِ هو"دراسةُ الإشاراتِ"[3] وهذه الأخيرةُ – من وجهةِ نظرِ السّيميائية تأخذُ "شكلَ كلماتٍ وصورٍ وأصواتٍ وإيماءاتٍ وأشياءَ"[4].

ومن الملاحَظِ أنَّ هذه التعريفاتِ تكاد تتشابَهُ في جوهرها – دراسةُ العلاماتِ – لأنَّها تتّخذُ من العلامةِ (Sign) أساساً في تناولِها للأنظمةِ اللّغويّةِ وغيرِ اللغويّة.

والعلامةُ هي كيانٌ نفسيٌّ ذو وجهين هما الدّالُ (significr) والمدلول (significance)– بحسب سوسير[5]– "ويميلُ الشّراحُ المعاصرونَ إلى وصف الدّالِ بأنّهُ الشكلُ الذي تتّخذهُ الإشارةُ، والمدلولُ بأنّه الأفهومُ الذي ترجعُ إليهِ"[6]، وبعبارةٍ أخرى: إنَّ الدّالَ هو اللّفظ، والمدلولَ هو المعنى "والرّابط الجامعُ بين الدّالِ والمدلولِ هو اعتباطيٌّ، وببساطةٍ أكثرَ يمكنُ القولَ أيضاً: إنَّ العلامةَ الألسنيَّةَ هي اعتباطيّةٌ"[7]، والمقصودُ بالعلاقةِ الاعتباطيّةِ (Arbitrariness) انتفاءُ الارتباط بين اللّفظِ بأصواتِه التي تشكّلُهُ والمعنى الذي يؤدّيه، "والاعتباطيّةُ في مفهومها الأدنى هي غيابُ منطقٍ عقليٍّ يبرّرُ الإحالةَ من دالٍّ إلى مدلولٍ، فلا وجودَ لعناصرَ داخلَ الدّالِ تجعلُكَ تنتقلُ آلياً إلى المدلولِ، فالرباطُ بين هذينِ الكيانينِ يخضعُ للتّواضعِ والعُرْفِ والتّعاقدِ"[8]، والمعنى في هذه الحالِ إمّا أنْ يكونَ معجميّاً، وإمّا سياقيّاً، وانطلاقاً من ذلك فإنَّ "معنى الإشاراتِ يكمنُ في علاقتِها مع بعضِها بعضاً في المنظومةِ، وليست ناتجةً من أيّ سماتٍ داخليّةٍ في الدّالاتِ، ولا عن أي إرجاعٍ إلى الأشياءِ الماديّة"[9]، وحركيّةُ الكلمةِ وتنوّعُ استخدامِها هو ما يحدّدُ معناها؛ "لأنَّ الكلمةَ تستطيعُ أن تعني أيَّ شيءٍ، ويكفي في ذلك تأسيسُ سياقٍ جديد يُوجِدُ هذا المعنى الجديد"[10]؛أي إنّ الكلماتِ التي تشكّلُ إشاراتٍ في بنيةٍ لغويّةٍ ما تحقّقُ من خلالِ تآلفها توازناً يلمسُهُ القارئ ويتمكّنُ من معرفةِ المدلولِ الذي تشيرُ إليه وفقاً لاستطاعتِهِ التحليليّةِ في استنطاقِ النّصّ الأدبيّ الذي يشكّلُ "بنيةً لغويّةً مفتوحةَ البدايةِ ومغلقةَ النّهاية"[11]، وكلّما كانَتِ الأرضيّةُ الثقافيّةُ للقارئ متينةً ومتّسعةً، ازدادَ انفتاحُ أفق النّصّ، وظهر إشعاعُ الدّلالاتِ المخفيّةِ بين الكلماتِ.

وربّما كانتِ القراءةُ السّيميائيّةُ هي الأنسبُ للوصولِ إلى الدّلالاتِ؛لأنَّها من العلومِ التي توظّفُ لتحليلِ النّصوصِ، وملاحظةِ سماتِ النّصّ اللّغويّةِ عبرَ جميعِ المستوياتِ للوصولِ إلى البنى العميقةِ وأبعادِها الدّلاليّةِ

---

[1]– ينظر: د. عصام خلف كامل، الاتجاه السّيمولوجي ونقد الشعر. دار فرحة للنشر والطباعة، د.ط، د.ت.، ص18.

[2]– د. عصام خلف كامل، الاتجاه السّيمولوجي ونقد الشعر، ص18.

[3]– دانيال تشاندلر، أسس السّيميائيّة. تر. د. طلال وهبة، بيروت: المؤسسة العربيّة للترجمة، ط1، 2008 م، ص7.

[4]– المرجع السابق، ص28.

[5]– انظر. فرديناند سوسير، محاضرات في الألسنيّة العامّة. تر. يوسف غازي، مجيد النصر، منشورات المؤسسة الجزائرية للطباعة، لا.ط، 1997 م، ص89.

[6]– دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ص46.

[7]– سعيد بنكراد، السّيميائيّات مفاهيمها وتطبيقاته. اللاذقية؛ دار الحوار، ط3، 2012 م، ص77–78.

[8]– دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ص52.

[9]– عبد الله الغذّامي، الخطيئة والتّكفير – من البنيويّة إلى التشريحيّة، الهيئة المصرية للكتاب، ط4، 1998 م، ص72.

[10]– المرجع السابق نفسه، ص92.

[11]– عبد الله الغذّامي، الخطيئة والتّكفير – من البنيويّة إلى التشريحيّة، ص92.

"فالسّيميائياتُ تهتمُّ بكلِّ مجالاتِ الفعلِ الإنسانيّ: إنَّها أداةٌ لقراءةِ كلِّ مظاهرِ السلوكِ الإنسانيّ بدءاً من الانفعالاتِ البسيطةِ ومروراً بالطقوسِ الاجتماعيّةِ وانتهاءً بالأنساقِ الأيديولوجيّةِ الكبرى"[1].

وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ الخوضَ في التّحليلِ السّيميائيّ وتناولَ المفردِ من وجهةِ نظرٍ سيميائيّةٍ لا يعني الاعتمادَ على مدرسةٍ معيّنةٍ في السّيمياءِ النَّصيّ؛ لأنَّ المدارسَ – على الرّغم من تعددِها – " لم توفّقْ إلى الآن في صياغةِ نظرةٍ شاملةٍ، وإنّما كلُّ ما نجدهُ هو بعضُ المبادئِ الجزئيّةِ والنّسبيّةِ الّتي إذا أضاءَتْ جوانبَ بقيَتْ أخرى مظلمةً"[2]، وبناءً على ذلك فإنَّ الباحثَ الّذي يقبلُ على تحليلِ النّصّ الشعريّ، يُقدِمُ على إقامةِ تقاطعاتٍ بين المدارسِ السّيميائيّةِ المختلفةِ"، ويركّب بين جزئيّاتِها بعد الغربلةِ والتّمحيصِ، ليصوغَ نظريّته لتحليل خطابٍ ما"[3]،وكلُّ ذلك وفقاً لما تمليه القراءة النّصيّة، وبهذا قد تغدو الدراسةُ أكثر انفتاحاً وغيرَ مقيدةٍ بخيوطٍ إجرائيّةٍ موضوعةٍ؛ لأنَّ فكَّ شيفراتِ (Codes) النّصّ (text) يختلفُ تبعاً لتنوّعِ القراءاتِ والقرّاءِ.

وتعدّدُ دلالاتِ الكلماتِ "شرطٌ واجبٌ لاستخدامِ اللّغةِ الإنسانيّةِ، وهذهِ الأخيرةُ كما نعلمُ، ينبغي أن تسمحَ بإبلاغِ تجاربَ مختلفةٍ لا تُحصى بوساطةِ مفرداتٍ محددّةٍ للّغة"[4]، ويتعلّقُ هذا بالموضوعِ الذي تُستعملُ فيه الكلماتُ والسّياقاتُ التي ترِدُ فيها، لتتخذَ لنفسِها ماهيتها التي تميزُها من غيرها، لأنَّ "معنى الكلمةِ هو مجملُ السّياقاتِ التي يمكنُ أن تنتمي إليها"[5]، وتؤدّي التّفاعلاتِ التي تطرأ على الكلمة عند تركيبها مع غيرها دوراً مهمّاً في التأثير في حيويّة المفردات، كما أنَّ " تكيّفَ الكلمةِ في الجملةِ يعطيها إيحاءاتٍ جماليةً لا تكمن في إفرادِها "[6]، ويجعلُها فاعلةً في إنتاجِ النَّصّ، ونقطةَ انطلاقٍ في كلِّ عمليّةِ قراءةٍ تستهدفُ إعادةَ الإنتاجِ، بل "إنَّ كلَّ مفردةٍ في اللّغةِ الشعريّة – هي عاملٌ شعريٌّ – يتضمّنُ بالإضافةِ إلى معناه، قيمةً تعبيريّةً تتجاوزه، بوصفِها ناجمةً عن العلاقاتِ القائمةِ بينَ الألفاظِ المفردةِ ومظهرِها، ومعناها، وحركتِها"[7]، وبذلكَ تغدو الكلمةُ صمّاماً لتفجيرِ كلِّ المكنوناتِ الواعيةِ واللّاواعيةِ، فالمبدعُ عندما يريدُ أن يعبّر يعبّر عن تجربتهِ بطريقةٍ شعريّةٍ يلجأ إلى المفرداتِ، بوصفِها مفتاحاً "للتّعبيرِ عن الأشياءِ وعن الأحاسيسِ، ولكنّنا في الحقيقةِ لا نرى تلكَ الأشياءَ، ولا ندركُ تلك الأحاسيسَ إلّا من خلالِ الكلماتِ"[8]، لأنّها أقدرُ على الحركةِ والإيحاءِ وبفضلِها تتكوّنُ المعاني، وربّما كانتْ بذلك تشكّلُ العنصرَ الأهمَّ في التعبيرِ اللّغويّ، من خلالِ تموضعِها في بنيتهِ الكليّة، والقدرةِ على التّلاعبِ بها، ولاسيّما عندما تدخلُ ضمنَ دائرةِ الشّعرِ " فالكلمةُ في الشّعرِ هي في الأصلِ تنتمي إلى لغةٍ ما، هي وحدةٌ في متنٍ يمكنُ أن نجدَه في القاموسِ، ومع ذلكَ فإنَّ هذه الكلمةَ تبدو كأنّها ليست معادلةً لنفسِها"[9]، وهذهِ اللّامعادلةُ هي التي تُظهِر أثرها في النّصّ الشعريّ، كونَها " تمتلكُ من المرونةِ ما يمكّنُها من عبورِ

---

[1]– سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص25.

[2]– محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 1992 م، ص7.

[3]– المرجع السّابق نفسه، ص15.

[4]– أندريه مارتينيه، وظيفة الألسن وديناميتها. تر. نادر سراج. دار المنتجب العربي، ط1، 1416 هـ/ 1996 م.ص211.

[5]– جون كوين، النّظرية الشّعرية – بناء لغة الشعر – اللغة العليا. تر. د. أحمد درويش، القاهرة: دار غريب، ط4، 2000 م، ص379.

[6]– حسين جمعة، في جماليّة الكلمة. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2002 م، ص47.

[7]– عبد الحميد جيده، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر. مؤسسة نوفل، بيروت، ط1، 1980 م.، ص36.

[8]– إمبرتو إيكو، السّيميائية وفلسفة اللّغة. تر. د. أحمد الصمعي، بيروت: المنظمة العربيّة للترجمة، ط1، 2005 م، ص21.

[9]– يوري لوتمان، تحليل النّص الشعري. تر. محمد فتوح أحمد. القاهرة: دار المعارف، د.ط، 1995 م، ص125.

المجالاتِ الدلاليّةِ، باعتمادِ معيارِ النّقلِ الدّلاليّ، أو تغييرِ مجالِ الاستعمال"[1]، ومن خلالِ هذا تغدو الكلماتُ علاماتٍ يتوجّبُ على أيّ قارئ الوقوفَ عندها، ليكتشفَ ما تخفيهِ وما تشيرُ إليه، وفقاً لسلطةِ النّص وهيمنةِ اللّغةِ على عناصرِها، بما يخدمُ الرسالةَ التي يرغبُ المبدعُ في إيصالِها للقارئ،"والحقُّ أنَّ الكلماتِ ليسَتْ إلّا وسيلةً واحدةً فقط من الوسائلِ العديدةِ التي تستطيعُ اللّغةُ بوساطتِها أن تؤثّرَ في التّفكيرِ"[2]، وهي أشبهُ بلونٍ في لوحةٍ متكاملةٍ إذا غابَ عنها ذهبَ رونقُها وجمالُها، على أنْ تُعدَّ بطريقةٍ قابلةٍ للتركيبِ مع غيرها من الكلماتِ حتى تكونَ فاعلةً ومتفاعلةً مؤثّرةً ومتأثّرةً أنّى وُجِدَتْ.

الدّراسة التطبيقيّة

يشغل المفرد حيّزاً إيحائيّاً واسعاً في فضاء النّصّ الشّعريّ عند الجواهريّ، وربّما استطاع المبدع من خلاله أن ينفذ لمقولات وأفكار يرغب في إيصالها للقارئ الواعي على نحوٍ غير مباشر؛ وهذا يجعل من الكلمة عامل ارتكاز يجاوز المبدع به المعاني المعجميّة الثّابتة ويجعل الكلمة تقول ما لم يقل، ولإيضاح فاعليّة هذا النّمط التّعبيريّ (العلامة/ المفرد) لابدّ من الوقوف على بعض الشّواهد الّتي تدخل ضمن هذا الإطار البناء التّراصفيّ وقراءتها واستكشاف غوامضها، يقول الشّاعر من قصيدته **(في الثّورة السّوريّة)**[3]:

ســـوريَّةُ أمُّ الضّراغمِ أصبحَتْ مَرعَى الذّئابِ
مثلَ الوديعِ منَ الطّيورِ تعاورتْـــهُ يدّ الــكلابِ
باتَت بليلةِ ذي جـروحٍ مــستفيضــاتٍ رغــابِ

فالنّصُّ الشّعريُّ في هذا المقام يتحدّث عن البلاد الّتي تكالب عليها الأعداء قديماً وحديثاً(سوريّة)، لكنَّ الكلماتِ الّتي تدخل في التّركيب توحي بدلالاتٍ أخرى ضمن سياقها (فالضّراغم) في معناها المعجميّ تعني (الأُسُود) ، إلاّ أنّ هذا المعنى ينتقل إلى إيحاءاتٍ متعدّدةٍ منها: (السّيادة، والقوّة، والتّكاتف)، في مقابل الإيحاءات الّتي تعطيها كلمة (الذّئاب) ومنها: (الوحشيّة، والغدر، والمكر، والتّطفّل، والقتل) إلاّ أنّ هذه الإيحاءات السّلبيّة المتوّلدة لا تنفي الإيحاءات الإيجابيّة لكلمة الذّئاب المتمثّلة بـ (الوفاء والإخلاص للأسرة والتّكاتف) على الرّغم من أنّ الشّاعر استخدم الدّلالة السّلبيّة، وتوحي الكلمة(أصبحت) بوصفها فعلاً يدلُّ على الانتقال من حالة إلى حالة أخرى بثنائيات ضديّة تتمثّل بما يلي: السّلام / الحرب، الاطمئنان/ الخوف، الهدوء/ الفوضى، الخير/ الشر، ولعلّ إضافة الكلمة (مرعى) إلى كلمة (الذّئاب)، أوحى بدلالات (الهمجيّة، والفوضى، والخراب، والموت)، ويتبيّن ذلك باستعمال محور الاستبدال اللّغويّ، فلو كان الكلام مرعى الخراف مثلا؛ لظهرت دلالات أخرى من مثل(الألفة، الهدوء،الحياة)، وهذا الإسناد (مرعى الذّئاب)، حقّق بعض الغرابة والانزياح عن اللّغة المألوفة، ويمكن تصنيفه ضمن دائرة الانزياح البعيد، فالمرعى في المعنى الثّابت المعجمي يشير إلى المكان الّذي تأكل فيه الحيوانات الأليفة العشب، والذّئاب لاتقوم بفعل الرّعي؛ لأنّها في طبيعتها من الحيوانات اللاحمة، بل تدخل المرعى لتتغذّى على الحيوانات العاشبة، وبتجاوز المعنى المعجمي يصل القارئ إلى الإيحاء الرّئيس الّذي تشير إليه لغة النّص والمتجلّي بثنائيّة الحيوان/ الإنسان، العاقل/ اللاعاقل، ومن

---

[1]– منقور عبد الجليل، علم الدّلالة – أصوله ومباحثه في التّراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2001 م، ص18. ص18.

[2]– منقور عبد الجليل، علم الدّلالة – أصوله ومباحثه في التّراث العربي، ص69.

[3]– الجواهريّ، الأعمال الشّعريّة الكاملة، دراسة وتقديم: عصام عبد الفتّاح، مكتبة جزيرة الورد– القاهرة، ط1، 2011، ج/1، ص. 123. 123.

هذا المنظور فالضّراغم هم الرجال الّذين يفدون الوطن بدمائهم ويحافظون على أمنه وأمانه، ويقابلهم العملاء المتخاذلون الّذين يثورون ضدّ وطنهم، ويسرقون خيراتِه، ويقتلون أهلَه، ويخربون كلّ شيءٍ باسم الحريّة والثّورة.

وبالإطار نفسه يوحي الدّالان (الوديع، الطّيور) بالألفة والسّلام، في مقابل الدّال (الكلاب)، الّذي يوحي بالعنف والهمجيّة والتّكالب مع انتفاء صفة الوفاء ويثبّت الفعل الحركيّ (تعاورته) هذه الدّلالات من خلال معناه السّياقيّ الّذي يدّل على كثرة ضرب الطّيور، ويتأكّد هذا المعنى أكثر مع الدّال (ليلة)، الّذي يتجاوز المعنى العام (اللّيل)، ليشي بدلالاتِ (الجهل، السوداويّة، الخوف)، وهنا يترافق دالّ اللّيل مع الألم والمعاناة، وبهذه القراءة نجد أنّ الكلمات قد ارتقت فانتهكت الثّبات المعجميّ وأوحت بأفكار تعالج الواقع وتحرّكه وتحاكيه على نحوٍ إيجابيّ يرسم صورة المؤمّل الإيجابيّ.

ومن قصيدةٍ بعنوان (**الشّاعر**) يقول الجواهريّ [1]:

لا أريدُ "النّايَ" إنّي حاملٌ في الصّدرِ نايا
عـــازفاً آنـاً فـآنـاً بـالأمـــاني والشّكايا
الـبـلايـــا أنـطَـقـتْهُ سامحَ اللهُ البَـلايـَا

توضح القراءة الأولى لهذه الأبيات أنّ المتكلّم لايرغب بالنّاي (لا أريد النّاي)، والنّاي في المعنى المُتَعارَف عليه هو آلة موسيقيّة، إلاّ أنّ القراءة العميقة للنّصّ تحوّل المعاني الثابتة وتحرّكها نحو مدلولات أخرى فيصبح المفرد (النّاي) حاملاً لدلالات (الحزن، والانكسار، والهمّ، والوحدة)، بدليل التركيب (إنّي حامل في الصّدر نايا)، فالنّاي المحمول في الصّدر لايمكن أن يكون ناياً مصنوعاً من مادةٍ صلبةٍ، وإنّما هو إشارةٌ إلى الأنغام الحزينة الشجيّة الرقيقة الحنونة الّتي تصدر عن النّاي، وتجدرُ الإشارة هنا إلى أنّ الأنغام لاتصدر وحدها، بل تحتاج إلى نافخٍ في النّاي، هذا النّافخ عندما ينفخ الهواء فيه وكأنّه يحييه بروح منه فتصدر عنه الأنغام، كما أنّ مفردة (الصّدر) في سياقها تشير إلى مدلولات (الألم، الضّيق، المرض، الكبت)، فالصّدر بيت القلب، والقلب موطن العواطف والانفعلات وإذا تعب أتعب الجسد كلّه، وتتأكّد المدلولات الّتي تحتويها مفردة (النّاي) في البيت الثّاني، فالعازف هو الّذي يقوم بفعل النّفخ في النّاي، إلاّ أنّ عزفه يوحي بدلالات (الشكوى، والخيبة، والحسرة، والمعاناة)؛ بسبب عدم تحقيق الأماني وتوالي المصائب.

كما أنّ مفردة البلايا تؤدّي معنى التغيير والانتقال من الحركة إلى الجمود من الحياة إلى الموت؛ إذ جعلت النّاي ينطق بالآهات ويصرّح بالألم والحزن، ليس هذا فحسب بل هنا يمكن أن يكون الشّاعر عن طريق بثِّ همومه ومشاعره قد تخلّص من الشّحنات العاطفيّة المأساويّة الّتي تنتابه، فهو يعبّر بموسيقا النّاي الحزين عن شكوته ومرارة نفسه ليرتاح ولو قليلاً، وبهذا تغدو المفردة (النّاي)، معادلا للذّات الإنسانيّة المعذّبة ويشعر المتلقّي النّاضج أنّ اختيار مفردة (النّاي) في هذا المقام لاتقتصر إيحاءاتها النّصيّة على الشّكوى والألم والصّور السّوداويّة السلبيّة، إنّها تحمل في صوتها قلب الشّاعر المحبّ وتنازعاته الوجدانيّة الجوانيّة العميقة بين السّلب والإيجاب، وصوت النّاي يحمل في لواعجه كلّ هذه المعاني فيشدُّ المستمع نحو العازف/ الشّاعر/ الثّائر، وبهذا يغدو النّاي رمزاً دالاً ومحرّكاً مثوّراً يجاوز معاني الموت والحزن والسّواد نحو معاني فجرٍ بعيد يتفتّق من عمق السّواد الواقعيّ.

ويقول الجواهريّ من قصيدته (**خلّفت غاشية الخنوع**)[2]:

خلّفتُ غاشيةَ الخنوعِ ورائي وأتيتُ أقبسُ جـمرةَ الشُّهداءِ

---

[1] – **الجواهريّ، الأعمال الشّعريّة الكاملة، ج/1، ص.88.**

[2] – **الجواهريّ، الأعمال الشّعريّة الكاملة، ، ج2، ص108.**

ياكوكبَ الشّهداءِ شكوى مرَّةً لك ترتمي من كوكبِ الشّعراءِ

يجدُ المتابعُ للمفرداتِ في هذا البناءِ أنّ دورها يكادُ يكون رئيساً في توجيه المعنى، بما توحيه من دلالات، ابتداءً بمفردة (خلّفتُ) الّتي تحمل دلالات (الاستغناء، والتّراجع، والثورة)، في مقابل مفردة الخنوع الّتي تشير إلى (العبوديّة والخضوعِ والاستكانةِ والذّلِ)، كما أنّ مفردة (جمرة) تنزاح عن معناها المعجميّ في تركيبها مع مفردةِ (الشّهداء)، وتتفتّقُ عنها دلالاتُ الثّورةُ، النّورُ، النّارُ، الحرق)، ومن خلال ذلك تتشكّل الثنائيّة الاستسلام/ المقاومة، كما انّ توازي البناء في البيت الثّاني بين (كوكب الشّهداء) و(كوكب الشّعراء)، يظهر إيحاءاتٍ مضمرةً تتجلّى في دلالات(العلوّ، العزّةِ، الشّموخِ)، وتنتج ثنائيّة (**الحياة / الموت**) على النّحو الآتي:

تضاد

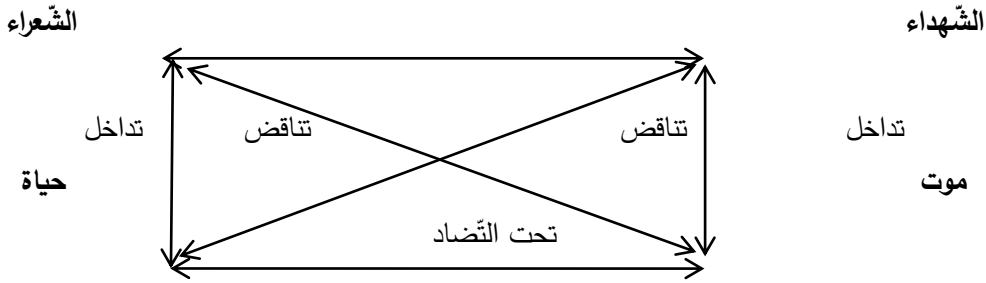

وبقراءة ثانية لهذا التّداخل العلائقيّ نقف على دلالة الحضور والحياة، ويمكن البرهنة على ذلك من خلال الآتي:

الشّهيد ⟵ ميّت ⟵ حيٌّ بتضحيته وذكره ويحظى بمرتبة رفيعة.

الشّاعر ⟵ بمنزلة الميّت ⟵ حيٌّ بإبداعه ومكانته الاجتماعيّة عالية.

ولعلّ الفرق بين موت الشّهيد وموت الشّاعر يتجلّى في أنّ موت الشهيد حقيقي، أمّا موت الشّاعر معنوي؛ إذ إنّ الشّاعر ماتت نفسه من شدّة الألم ومرارة الحزن، وموته هذا بمنزلة الموت الحقيقيّ.

ومفردة (الكوكب) الّتي اقترنت مع مفردتي (**الشّهداء، الشّعراء**)، تشي بدلالات البقاء المستمرّ والعلوّ والسّموّ، ولعلّ استخدام هذه المفردة هنا لم يكن من قبيل المصادفة، فلو وضعنا أيّة مفردة أخرى مكانها لن تؤدّي الدلالات الّتي تمنحها مفردة (كوكب)، وعلى سبيل المثال نذكر مفردة (معشر)، فلو كان القول:

يامعشرَ الشّهداءِ شكوى مرَّةً لك ترتمي من معشر الشّعراءِ

لن تؤدّي المفردة (معشر) إلاّ دلالة النّداء والخطاب، وبالتّالي سيكون المعنى العامّ تعبيراً عن حالةً اجتماعيّة تسود في المجتمع المعيش، تتجلّى في اللّامبالاةِ بمن ضحّوا في سبيل الوطن وعدم الاهتمام بحريّة الفكر، إلاّ أنّ استخدام مفردة (كوكب)، ألغى هذا المعنى، ومن ذلك نجد أنّ المفرد (كوكب) قد أدّى دوراً جوهريّا في تنويع الإيحاءات وتوجيه المعنى.

ومن الشّواهدِ الّتي تُظهِرُ ديناميّةَ المعطى المضمونيّ للمفردِ النّصّيّ في شعرِ الجواهريّ، قولُهُ من قصيدِتِه (علي الخالصي)[1]:

إنَّ الّذي كانَ سِراج الحِمى يشعُّ فـي غيهبِهِ كـوكبا

[1] – **الجواهريّ، الأعمال الشّعريّة الكاملة، ج1، ص 104.**

شمسٌ أضاءت هنا حِقْبَةً وهي هنا أجدرُ أنْ تَغْرُبا

وهنا يتخطّى المفرد حدود معجيّته؛ ليقدّم دلالات جديدة حركيّة بعيدة كل البعد عن الثّبات والتقييد من جهة المعنى اللّغويّ للمفردات، فمفردة (السراج) في سياقها تتخطّى الدلالة المعجميّة الثّابتة، لتشير إلى المرثيّ(علي الخالصي)، المضيءِ بعلمِهِ، المتّقدِ بصفائِهِ، المشتعل في وجه الجهل، النّور الذي يرشد إلى طريق الحقّ، فالسّراج المضيء هنا يوحي بالدلالات الإيجابيّة كلّها الّتي تكمن في نفس المرثيّ، وانطفاء هذا السّراج ماهو إلا دلالة على الموت، وعلى الرّغم من ذلك يبقى الإشعاع مستمرّاً بالنسبة إلى المرثيّ الّذي ارتقى في غيبته وصار في مرتبة رفيعة، بل صار كوكبا سائحاً في فلك السّماء، وهنا تحضر دلالات التّعظيم، والعلوّ، والسّموّ، والقداسة.

ويلحظ القارئ للبيت الثّاني انتقالاً في الإيحاء من الخاصّ إلى العامّ، من السّراج إلى الشّمس، من بُداءة النّور إلى انتشاره، ومن ثمّ خفوته وانطفائه؛ إذ يصبح المرثيّ **شمساً**، وهنا يمكن أن نقف على دلالات (النّور، والحياة، والإشراق، والعلوّ، والحرق، والغروب / الموت)، وتتقاطع هذه المفردات الدّالّة في إيحاءاتها مع (علي الخالصيّ) المتنوّر بالعلم، الحيّ بالذّكر، المشرق بأمل انتصار الحقّ، العالي في مكانته، إلى أن نصل إلى غروب الشّمس الّذي يوحي بغروبه وموته.

لقد ارتقى المفرد في هذا الكلام عن أن يكون ثابتاً وقد أسهمت حركيته في خلق الدّلالات الجديدة كلّها، وإبداعه يكمن في إمكانيّة إجراء التّقاطعات بين الحسيّ والمعنويّ.

ويمكن ملاحظة أنّ المفردات (سراج ، كوكب، شمس)، تنتمي إلى حقل المجال الكوني، الّذي ساعد في فتح أفق النّصّ على دلالات خارجيّة تفتّقت من خلال عمليّة القراءة.

خاتمة:

تُظهرُ النّماذجُ الّتي نُوقِشتْ تحت عنوان سيمائيّة المفرد ، الأثرَ الّذي يمكنُ أنْ تولّدَهُ الكلماتُ المفردةُ تبعاً لطبيعةِ استخدامِها في سياقٍ ما؛ لأنَّ استخدامَها منفردةَ بمعجميّتها المحدودة الثّابتة لا يحقّقُ شيئاً، ولابدّ أن تدخلَ في الأداءِ وتكونَ فاعلةً في التّراكيبِ لنتمكّنَ من إطلاقِ الحُكمْ عليها سواءٌ أكانَ ذلك بضعف تأثيرها أم بقوّتِهِ، إلّا أنَّ محدوديّة الدّراسةِ لا تسمحُ بمزيدٍ من الشّواهِد؛ لذلك اقتصرَتْ على بعضِ النّماذجِ الّتي تبيّنُ إشاريّةَ الكلماتِ وحركيَّتِها وتأثيرَها وحريّة انفتاحها في النِّتاجِ الشِّعريّ عند الجواهريّ.

المصادر و المراجع:

1- القرآن الكريم.

2- إمبرتو إيكو، *السّيميائية وفلسفة اللّغة*. تر. د. أحمد الصمعي، بيروت: المنظمة العربيّة للترجمة، ط1، 2005 م.

3- أندريه مارتينيه، وظيفة الألسن وديناميتها. تر. نادر سراج. دار المنتجب العربي، ط1، 1416 هـ/ 1996 م.

4- بيير جيرو، علم الإشارة. السّيميولوجيا. تر. د. منذر عياشي، دمشق: طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1988 م.

5- الجواهريّ، الأعمال الشّعريّة الكاملة، دراسة وتقديم: عصام عبد الفتّاح، مكتبة جزيرة الورد- القاهرة، ط1، 2011.

6- جون كوين، النّظرية الشّعرية – بناء لغة الشعر – اللغة العليا. تر. د. أحمد درويش، القاهرة: دار غريب، ط4، 2000 م.

7- حسين جمعة، في جماليّة الكلمة. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، لا.ط، 2002 م.

8- دانيال تشاندلر، أسس السّيميائيّة. تر. د. طلال وهبة، بيروت: المؤسسة العربيّة للترجمة، ط1، 2008 م.

9- سعيد بنكراد، *السّيميائيّات مفاهيمها وتطبيقاته*. اللاذقية؛ دار الحوار، ط3، 2012 م.

10- عبد الحميد جيده، *الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر*. بيروت: مؤسسة نوفل، ط1، 1980 م.

11- عبد الله الغذّامي، الخطيئة والتّكفير – من البنيويّة إلى التشريحيّة. الهيئة المصرية للكتاب، ط4، 1998 م.

12- عصام خلف كامل، الاتجاه السّيمولوجي ونقد الشعر. دار فرحة للنشر والطباعة، لا.ط، لا.ت.
13- فرديناند سوسير، *محاضرات في الألسنيّة العامّة*. تر. يوسف غازي، مجيد النصر، منشورات المؤسسة الجزائرية للطباعة، لا.ط، 1997 م.
14- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 1992 م.
15- ابن منظور الإفريقي، لسان العرب. دار صادر، بيروت – لبنان، ط3، 2004 م
16- منقور عبد الجليل، *علم الدّلالة – أصوله ومباحثه في التّراث العربي*. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، لا.ط، 2001 م.
17- يوري لوتمان، تحليل النّص الشعري. تر. محمد فتوح أحمد. القاهرة: دار المعارف، لا.ط، 1995 م.

Reference:

1- The Holy Quran.
2- Umberto Eco, Semiotics and Philosophy of Language. Tr. Dr.. Ahmad al-Sami'i, Beirut: The Arab Organization for Translation, 1st edition, 2005 AD.
3- André Martiné, Function and dynamics of tongues. Tr. Nader Siraj. Dar Al-Montajib Al-Arabi, First Edition, 1416 AH / 1996 AD.
4- Pierre Gero, the science of signaling. Psychology. Tr. Dr.. Munther Ayyashy, Damascus: Tlass for Studies, Translation and Publishing, 1st edition, 1988 AD.
5- Al-Jawahiri, Complete Poetic Works, Study and Presentation: Issam Abdel-Fattah, Island of Roses Library - Cairo, 1st edition, 2011.
6- John Quinn, Poetic Theory - Building the Language of Poetry - The Higher Language. Tr. Dr.. Ahmed Darwish, Cairo: Dar Gharib, 4th floor, 2000 AD.
7- Hussein Juma, in the aesthetic of the word. Damascus: Publications of the Union of Arab Writers, No. I, 2002 AD.
8- Daniel Chandler, The Foundations of Semiotics. Tr. Dr.. Talal Wahba, Beirut: Arab Organization for Translation, 1st edition, 2008 AD.
9- Said Benkrad: semiotics, concepts and applications. Lattakia; Dar Al-Hiwar, 3rd floor, 2012 AD.
10- Abdul Hamid Gaidah, New Trends in Contemporary Arabic Poetry. Beirut: Nofal Foundation, 1st edition, 1980 AD.
11- Abdullah Al-Ghuthami, Sin and Atonement - From Structuralism to Anatomical. Egyptian Book Authority, 4th edition, 1998 AD.
12- Issam Khalaf Kamel, The Psychological Trend and Poetry Criticism. Farha Publishing and Printing House, No. I, No. I
13- Ferdinand Saussure, Lectures on Public Linguistics. Tr. Youssef Ghazi, Majeed Al-Nasr, Publications of the Algerian Printing Establishment, No. i, 1997
14- Muhammad Moftah, The Analysis of Poetic Discourse. Casablanca: The Arab Cultural Center, 1st edition, 1992 AD.
15- Ibn Manzur al-Afriqi, Lisan al-Arab. Dar Sader, Beirut - Lebanon, 3rd edition, 2004 AD
16- Manqur Abdul Jalil, Semantics - Its Origins and Investigations in Arab Heritage. Damascus: Publications of the Union of Arab Writers, No. I, 2001 AD.
17- Yuri Lotman, Analysis of the Poetic Text. Tr. Muhammad Fattouh Ahmed. Cairo: Dar Al-Maarif, No. i, 1995 AD.